# اثر مجهول لابن سينا

عُني بنشره حضرة الاب لويس معلوف اليسوعي

١ في تدبير الرجل نفسهُ (تابع)

واحق الناس بذلك واحوجهم اليهِ الرؤساء فان هؤلاء لمَّا خرجوا عن حكم التثبُّت (١ وعن ملكة التصنُّع تركوا الاكتراثَ للسقطات وتعقُّبَ الهفوات بالندمات فاستمرَّت عادتهم على كثرة الاسترسال وقلَّة الاحتشام الَّا قليلًا منهم برعت عقولهم ورجحت احلامهم ونفذت في ضبط انفسهم بصائرهم فحسنت سيرتهم واستقامت طريقتهم . ومما زاد في عظم بلائهم باكتتام عيوبهم عنهم أنهم هيِّبوا عن التعبير بالمعايب مواجهةً وعن النقص والذم مشافهةً وخيفوا في اعلان الثلب والعضّ والشنع (٢ والجذب والهمز واللمز بظهر العيب . فامَّا انقطع علمُ ذلك عنهم ظنوا ان المعايب تخطَّتهم والمثالب جاوزتهم فلم تعرّج بخاطرهم ولم تعرّس بأفنيتهم

وليس كذلك حال من دونهم من الرعاع والسوقة فان احدهم لو رام ان يخفي عنهُ عيوبهُ يبدهُ مُحبُّهُ بها ويتدارك عليهِ باقبحها ما استطاع ذلك . فانهُ يخالط الناس ويلابسهم ضرورة والمخالطة تحدث المجادلة والمدافعة وذلك من اسباب المخاصمة والمخاصمة تؤدّي الى التعايُب بالمثالب والترامي بالعار وعند ذلك يكاد كل واحد من الفريقين لا يرضى بذكر حقائق عيوب صاحبه بل يتهمهُ بالباطل ويتعلل عليهِ الزور فهؤلاء قد كُفوا استرشاد جاسانهم وبثّ الجراسيس في تعرُّف عيوبهم من قِبَل أعدائهم فانها قد جُلبت اليهم من غير هذا الطريق . فاما مَن يُسالم من السوقة الناسَ فلا يساورهم (٣ ويراتيهم ولا يلاحيهم فانهُ لا يُعدَم من ينبّههُ على عيبهِ وينصحهُ في نفسهِ من حميم وقريب وخليط وجليس وأكيل

ومما زاد في فساد حال هؤلاء الرؤساء ما أُتيح لهم من قرناء السوء وقُيّض لهم من جلساء الشرّ الذين لو انهم لمَّا خاسوا (٤ وراغوا (٥ في صحبتهم وغشُوهم (65

١) تثبَّت في الامر تأنّى فيهِ
٢) الاستفاح
٣) يراثيهم
٤) نفضوا عهدهم
٥) مكروا

في عشرتهم بتركهم صدقهم عن انفسهم وتنبيههم عن عوراتهم لم يغشوهم بالثناء الكاذب ولم يغروهم بالتقريظ الباطل ولم يستدرجوهم باستصابة خطإهم لكانوا اخفّ ذنوباً وان كانوا غير خارجين عن لؤم العشرة ودناءة الصحبة . واملّ احدهم اذا تنوّع في إقامة عذره وتنطّع (١ في تخفيف جرمه قال : « انما ندع نصحهم في انفسهم وصرفهم عن احوالهم إشفاقاً من حميّتهم وحذراً من أَنَفتهم وخوفاً من استثقالهم النصيحة فان للنصح لذعاً كلذع النار وحرًّا كحرّ السنان . فنحن نخاف ان فعلنا ذلك بهم ان لا نربح الّا استيحاشهم لنا ونفارهم منّا وازورارهم عنا وعن عشرتنا فلأن نظفر بهم مع زللهم خيرٌ لنا ولهم من ان نحرّق عليهم فلا هم يبقون لنا ولا نحن نبقى لهم » . هذا اذا كان الصاحب رفيقاً متثبّتاً . فامّا اذا كان اخرق متهوّراً فانهُ يقول : « لا نأمن من سقوط منزلتنا وانقطاع خلطتنا مع سورة غضبهِ وبادرة سطوتهِ » . فيقال لهُ : « انك اذا بنيتَ امرك في صحبة من تحجب على الدين والمروءة لم يلزمك ان تراعي غيرهما فيما تأتي وتذر واذا اقتديت بهما وعشوت الى نورهما لم تضلّ في طريق صحبة من صحبتَ »

وقد قضيت فيك بان صاحبك احدُ رجلين امّا حازم رفيق متثبّت واما أخرق متهوّر . فالرفيق المتثبت لأحوز عليهِ فضلُ ما يسديهِ نصحك وان هو ارتاع ورجم وحمى انفهُ وثنى عطفهُ في اول ما يرد عليهِ منك . فاذا تثبّت وفكّر وقدّر عرفَ الخيرَ الذي قصدتهُ والصلاح الذي امتهُ فرجع اليك احسن الرجوع . واما الاخرق المتهوّر فانت غير آمن من خرقهِ في ايّ حال شايعتهُ او خالفتهُ . وليس من الرأي لك ان تصحب مَنْ هذه صفتهُ فتحتاج الى هدايته

واعلم انهُ ليس لك وان كان طريق ارشاد العاقل عن رَعنهِ (٢ ان تركبهُ هائماً وتسلكهُ خابطاً ولكن ينبغي لك ان تمسّ العاقل بالمشورة عليهِ مسَّ الشوكة الشائكة بجسدك والقرحة الدامية من بدنك على ألين ما تمسّ وأرفق القول وأخفض الصوت وفي أخلى المواطن واستر الاحوال . والتعريض فيها ابلغ من التصريح وضرب الامثال احسن من التكشيف . فان رأيت صاحبك يشرئبّ لقولك اذا بدر منك ويهشّ لهُ ويصغي

١) يقال تنطّع في الكلام اي تحذّق فيهِ وتأنق
٢) الرعن الفيّ

اليه فاسبغ القول في غير إفراط ولا إسهاب ولا إملال ولا ترد على الوجه الواحد من الرأي ودعهُ يختمر في قلبهِ ويتردّد في جوانحهِ فيعلم بتخلّي مغبّته . وان رأيت صاحبك لا يكترث لكلامك اذا ورد عليهِ فاقطعهُ وأحِلْ معناهُ الى غير ما اردتهُ وأخّرهُ الى وقت نشاطهِ وفراغ بالهِ

وينبغي لمن عُني بتعرّف مناقبهِ ومثالبهِ ان يفحص عن أخلاق الناس ويتفقّد شيمهم وخلائقهم ويتبصّر مناقبهم ومثالبهم فيقيسها بما عندهُ منها ويعلم انهُ مثلهم وأنهم أمثالهُ فانّ الناس أشباهُ بل هم سواء كاسنان المشط . فاذا رأى المنقبة الحسنة فليعلم انّ فيهِ مثلها اما ظاهرة واما مغمورة فان كانت ظاهرة فليراعِها وليواظب عليها حتى لا تبيد ولا تضمحل وان كانت مغمورة فليثرها وَليُحيها وليحافظ على استدعائها فانها تجيب باهون سعي واسرع وقت . واذا رأى المثلبة والعادة السيئة والخلق (66") اللئيم فليعلم ان مبادِيها راهنٌ لديهِ اما بادٍ واما كامنٌ فان كان بادياً فليقمعهُ وليقهرهُ وَليُبِتْهُ بقلّة استمالهِ وشدّة نسيانهِ . وان كان كامناً فليحرسهُ لئلّا يظهر

وينبغي للانسان ان يعدّ لنفسهِ ثواباً وعقاباً يسوسها بهِ فاذا حسنت طاعتها وسلس انقيادها لما يسوسها من قبول الفضائل وترك الرذائل اذا اتت بخلق كريم او منقبة شريفة اثابها باكثار حمدها وجلب السرور لها وتمكينها من بعض لذّاتها واذا ساءت طاعتُها وامتنع انقيادُها وجمحت فلم يسلس عنانها وآثرت الرذائلَ على الفضائل واتت بخلق لئيم او فعل ذميم عاقبها باكثار ذمّها ولومها وجلب عليها شدّة الندامة ومنعها لذّتها حتى تلين لهُ

## ٢ في تدبير الرجل دخلهُ وخرجهُ

ان حاجة الناس الى الاقوات دعت كلّ واحد منهم الى السعي في اقتناء قوتهِ من الوجه الذي الهمهُ الله قَصْدهُ وسبّب رزقهُ من وجوه المطالب وسُبُل المكاسب . ولمّا كان الناس في باب المعيشة صنفين صنفاً مكفيّاً سميُهُ برزق مهنّأ سُبّب لهُ من وراثة او جناهُ (١ وصنفاً محوجاً فيهِ الى اكتساب ألهمَ هذا الصنفَ التسبّبَ الى الاقوات

١) وفي الاصل ساه

بالتجارات والصناعات وكانت الصناعات أوثق وأبقى من التجارات لان التجارة تكون بالمال والمال وشيك الفناء عتيد الآفات كثير الجوائح . وصناعات ذوي المروءة ثلاثة انواع : نوع من حيز العقل وهو صحّة الرأي وصواب المشورة وحسن التدبير وهو صناعة الكبار والمدبرين وارباب الامر . ونوع من حيز الادب وهو الكتابة والبلاغة وعلم النجوم وعلم الطب وهو صناعة الادباء . ونوع من حيز الأيد والشجاعة وهو صناعة الفرسان والأساورة . فمن رام احدى هذه الصناعات فليفز بإحكامها والتقدم فيها حتى يكون من اصحابها موصوفاً بالفصاحة غير مرذول ولا مؤخّر

وليعلم انهُ ليس شيء ازين بالرجل من رزق واسع وافق منهُ استحقاقاً . ثم ايطاب معيشتهُ بصناعة على أعفّ الوجوه وأرفقها وأعفاها وابعدها من الشرَه والحرص وأنآها من الطمع الفاحش والمأكل الخبيث وليعلم ان كل فضل نيل بالمغالبة والمكابرة وبالاستكراه والمجاهدة وكل ربح جيزَ بالاثم والعار ومع سوء القالة وقبح الاحدوثة او بذل الوجه وتزف الحياء او بثلم المروءة وتدنيس العرض زهيدٌ وان عظم قدرهُ تزرٌ وان غزرت مادّتهُ وبيلٌ وان ظهرت هناءته وخيمٌ وان كان في مرآة العين مَريئاً . وان الصفو الذي لا كدر فيهِ والعفو الذي لا كدح معهُ وان قلَّ مقدارهُ وخفَّ وزنهُ أطيب مذاقاً واسلس مساغاً وأنمى بركةً وازكى ريعاً

فاذا حاز الانسان ما اكتسبهُ فان من السيرة العادلة في ذلك ان يكون بعضهُ مصروفاً في الصدقات والزكوات وأرباب المعروف وبعضهُ مستبقىً مدّخراً لنوائب الدهر واحداث الزمان . فأما الزكوات والصدقات فينبغي ان يكون إخراجها بطيب النفس وحسن النيّة وانشراح الصدر والثقة بانها العُدّة ليوم الفاقة وان يُوضع مظمها في اهل الخلّة (١ ممّن يستر الناس بفقرهِ ولا يهتك ستر الله تعالى عن حالهِ ويتوخّى بباقيها (66ظ) مَن تلحقهُ الرقّة (٢ ممن ظهرت عيلتهُ وبدت مسكنتهُ وان يجعل ذلك خالصاً لوجه الله ذي الجلال والاكرام فلا يستشر لهُ شكراً ولا يترصّد لهُ جزاء

وللمعروف شرائط احداها تعجيلهُ فان تعجيلهُ أهنأ لهُ . والثانية كتمانهُ فان كتمانهُ أظهرُ لهُ . والثالثة تصغيره فان تصغيره اكبر لهُ . والرابعة ربُّهُ (٣ ومواصلتهُ

١) الحاجة والفقر
٢) الرحمة
٣) زيادته

فان قطعهُ يُنسي اوَّلـهُ ويمحو اثره. والخامسة اختيارُ موضعهِ فان الصنيعة اذا لم توضع عند من يحسن احتمالها ويؤدّي شكرها وينشر محاسنها ويقابلها بالودّ والموالاة كانت كالبذر الواقع في الارض السبخة التي لا تحفظ الحبَّ ولا تُنبت الزرع

فامَّا النفقـات فان سدادَها واصلاح امرها بين السَّرَف (١ والشحّ ومتردّد بين التضييع والتقدير (٢ خلا ان يازاء ذلك امرًا يوجب حسنَ التثبُّت وهو انهُ متى استوفى الانسان حقوق التقدير كلهـا واستعرف شرائط الاقتصاد اجمع لم يسلم في ذلك على غميزة العامز وذلك النصفة وعموم الجور في العضيهة وشمول البغضاء الموكلة بكل مروءة تامة والحسد المغري بكل مجد باذخ وشرف شامخ. فلهذا ينبغي للعاقل ان يبني بعض امره في الاتفاق على عقول عوامّ الناس وان يستعمل كثيرًا من التجوز والاغضاء في المواضع التي يخشى فيها شبه السَّرَف وعار التضييع. فان من يمدح السَّرَف من العوام اكثر ممن يمدح الاقتصاد ويؤثر التقدير كما ان من يمدح الاقتصاد ويؤثر التقدير اخصّ واتمّ عقلًا واحزم رأيًا

فامَّا الذخيرة فلا ينبغي للعاقل ان يُغفلها متى امكنتهُ فان الانسان متى بدهَهُ صرف الزمان بحاجة لم يكن مستظهر الحال فوق حالهِ واضطرَّ الى الاستعانة بالحال الحاضرة فيفصمها عروةً عروةً حتى يبقى معدمًا والله وليّ الكفاية وحسن الدفاع

## ٣ في تدبير الرجل اهلهُ

ان المرأة الصالحة شريكة الرجل في ملكهِ وقيّمتهُ في مالهِ وخليفته في رحلهِ. وخير النسـاء العاقلة الدّينة الحيية الفطنة الوَدود الولود القصيرة اللسان المطاوعة العنان الناصحة الجيب الامينة الغيب الرزان في مجلس الوقور في هيبتها المهيبة في قامتها الخفيفة المبتذلة في خدمتها لزوجها تُحسن تدبيرَها وتكثر قليلهُ بتقديرها وتجلو احزانـهُ بجميل اخلاقها وتسلّي همومهُ بلطيف مداراتها

وجماع تدبير الرجل اهلهُ بحسم وسط (كذا) ثلثة امور لا تدعهُ وهي الهيبـة الشديدة والكرامة التامّة وشغل خاطرها بالمهمّ

١) ضدّ القصد والاعتدال

٢) التقدير كالتقتير يقال قدَّرَ على عياله اذا ضيَّق

اما الهيبة فهي اذا لم تهب زوجها هان عليها واذا هان عليها لم تسمع لامره ولم تصغ لنهيه ثم لم تقنع بذلك حتى تقهره على طاعتها فتعود آمرة ويعود مأمورًا وتصير ناهية ويصير منهيًا وترجع مدبرة ويرجع مدبرًا وذلك الانتكاس والانقلاب. والويل حينئذٍ للرجل ماذا يجلب له تمردها وطغيانها ويجنيه عليه قصر رأيها وسوء تدبيرها ويسوق اليه غيًا وركوبها هواها من العار والشنار والهلاك والدمار. فالهيبة رأس سياسة الرجل اهله وعمادها وهي الامر الذي يسد به كل خلة ويتم تمامه كل نقص وينوب عن كل غائب ويغني عن كل فائت ولا ينوب عنه شيء ولا يتم دونه امر فيما بين الرجل واهله. وليست هيبة المرأة بعلها شيئًا غير إكرام الرجل نفسه (67) وصيانة دينه ومروءته وتصديقه وعده ووعيده

اما كرامة الرجل اهله فمن منافعها ان الحرة الكريمة اذا استجلت كرامة زوجها دعاها حسن استدامتها لها ومحاماتها عليها وإشفاقها من زوالها الى أمور كثيرة جميلة لم يكد الرجل يقدر على إصارتها اليها من غير هذا الباب بالتكلف الشديد والمؤونة الثقيلة. على ان المرأة كلما كانت اعظم شأنًا وافخم امرًا كان ذلك ادل على نبل زوجها وشرفه وعلى جلالته وعظم خطره. وكرامة الرجل اهله على ثلثة اشياء في تحسين شارتها وشدة حجابها وترك إغارتها

واما شغل الخاطر بالمهم فهو ان يتصل شغل المرأة بتهذيب اولادها وتدبير خدمها وتفقد ما يضمه خدرها من اعمالها فان المرأة اذا كانت ساقطة الشغل خالية البال لم يكن لها همٌ الا التصدي للرجال بزينتها والتبرج ببيأتها ولم يكن لها تفكير الا في استزادتها فيدعوها ذلك الى استصغار كرامته واستقصار زمان زيادته وتسخط جملة إحسانه (لها بقية)

# رحلة الى طرف بادية تدمر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

كان مسيرنا من يبرود الى معلولا عن طريق الجنوب مع ميلة الى الغرب. وهي طريق لاحبة تتصاعد تدريجًا الى المشارف التي في وسطها معلولا وكانت على يميننا اكمات مرتفعة على رؤوسها شبه الاكلة من الصخور. وفي مماطف تلك الربى مغاور وكهوف